النزعة الذاتية في الشعر الجاهلي

للدكتور عبد الغني زيتوني
جامعة حلب

نستدل من أشعار كثيرة على أن العربي ربط حياته بحياة القبيلة لشعوره بضرورة هذا الربط ، بل لعله كان مضطراً إلى هذا الربط لحاجته إلى العيش حياة جماعية في تلك المرحلة من حياته . أما فيما عدا ذلك فإنه يظهر في الشعر ذا شخصية متفردة ، وذات مستقلة ، وتفكير متميز ، وذلك من خلال حديثه عن حياته الخاصة ، وعن عواطفه الذاتية ، سواء أكانت تجاه قبيلته ، أم تجاه المرأة التي يحبها ، أم تجاه أصدقائه وخصومه .

وعلى ذلك فإن الشعر يصف لنا الإنسان العربي ذا نزعتين تتجاذبانه ، نزعة جماعية نحو القبيلة ونزعة فردية تجعله متميزاً من طغيان الروح الجماعية . وقد قوى هذا النزوع الفردي ماطُبع عليه العربي من حبّ للحرية ومن إباء نفس يجعلانه عسير الانقياد والخضوع فيما يتعلق بشؤونه الخاصة ، وإن كان على النقيض من ذلك فيما يتعلق بشؤون القبيلة .

وقد عبر الشعراء أنفسهم عن ذلك التجاذب النفسي ، الجماعي والفردي ، أفضل تعبير ، فلم يقصر الشاعر في القيام بواجبه نحو القبيلة ، ملتزماً بقضاياها والدفاع عنها ، كما أنه في الوقت نفسه ، لم يغفل عن دوافعه الشخصية ونوازعه الذاتية ، فكان شأنه شأن الفنان «الذي أقر رسالة اجتماعية مزدوجة ، رسالة مباشرة تفرضها حاضرة أو رابطة أو فئة اجتماعية معينة ، ورسالة غير مباشرة تفرضها تجربة هامة بالنسبة إليه»[1] .

وقد جُلِّيت هذه النزعة لدى الشعراء في الخروج على القبيلة ، راضين عن ذلك الخروج أو مضطرين اليه ، وفي تميّزهم الفردي وبروز ذواتهم بروزاً واضحاً ، وفي موقفهم من الأفراد الآخرين الذين تربطهم بهم روابط مختلفة .

١ ـ الخروج على القبيلة :

إن الشعر الجاهلي أبان لنا عن أن الحياة الاجتماعية التي كان يحياها الانسان العربي كانت تدعوه بإلحاح إلى التمسك بالنسب الذي هو بمنزلة «الهوية الشخصية» التي تميزه من بين أفراد القبائل الأخرى ، لذلك كان عليه أن ينهض بما تمليه عليه القبيلة من واجبات وحقوق ، لينال رضاها ، ويأمن في حمايتها ، ويعيش مطمئنا في ظلال جناحيها الوارفين .

بَيْدَ أن الشعر أوضح لنا أيضاً أن العربي قد يقف ، في بعض الحالات ، موقفا مغايراً للموقف السابق ، إما مدفوعا إليه بدافع ذاتي ، ينبع من قناعة فكرية معينة ، وإما أن تضطره القبيلة إليه اضطراراً . وقد أبرز الشعراء هذين الأمرين أكثر ما أبرزوهما في حالتين ، مثلت الأولى خلاف الفرد مع القبيلة ، ومثلت الثانية خلع القبيلة له .

ـ أولا ، الخلاف مع القبيلة :

يرينا الشعر أن الفرد يعيش في كنف القبيلة آمناً مطمئناً ، ما دامت تمد رعايتها عليه ، وتقوم بحماية أهله ومصالحه ، غير أنه قد يحدث أن يلحق الفردَ ضيمٌ في شخصه ، أو يناله غبنٌ في حقوقه ، ثم لا تقف القبيلة معه موقفا عادلاً ، من وجهة نظره ، بل لعلها قد تقسو عليه ، وتناصبه العداء ، من غير ذنب أو جريرة جديرين بهذا العداء بحسب رأيه . عند ذلك يصوره لنا الشعر ، في أغلب الأحوال وقد ثارت نفسه سخطاً وغضباً ، وتحرك إباؤه رافضاً متمرداً ، ومضى بأهله نازحاً عن ديار القبيلة .

بَيْدَ أن ذلك كله لا يدفعه إلى أن ينسلخ من انتمائه إلى قبيلته ، ولا يجعله يخلع نسبها عنه ، لأن التخلي عن النسب يعني الضياع في أرض غير آمنة وحياة غير مطمئنة . وقد عبر عن ذلك الموقف خير تعبير عمرو بن قَمِيئة الذي أبعدته القبيلة رغماً عنه ، فعانى ماعاناه من صراع نفسي يقوم بين حبه لقومه الذين دفعوه إلى النزوح عنهم ، وبين إبائه وكرامته وعزته التي أبت عليه أن يكون هدفاً لسهام الضغينة والحقد التي يرميه بها الكاشحون ، وفي نهاية الأمر انتهى إلى قرار يرضي إباءه ويحفظ عليه انتماءه ، إنه الفراق ، فهو الأجمل للبقاء على كرامة النفس ، وعلى النسب الذي كادت أواصره تتقطع[1] :

على أنَّ قومي أَشْقَذُوني فأصبحتْ ... دياري بأرضٍ غير دانٍ نُبُوحُها
تَنَفَّذ منهم نـافِـذاتٌ فَسُؤنني ... وأَضْمَرَ أضغاناً عليَّ كُشُوحُها
فقلتُ : فِراقُ الدارِ أجملُ بيننا ... وقد ينتَئِي عن دارِ سَوْءٍ نزيحها
على أنني قـد أدعي بأبيهمُ ... إذا عَمَّتِ الدَّعْوَى وثابَ صريحُها

وعلى هذا الغرار ما حدث لزهير بن عَروة المازني ، المعروف بزهير السَّكْب ، وكان من أشراف قبيلته وفرسانها وشعرائها ، حين غاضب قومه

في شيء ذمَّه منهم ، وفارقهم إلى غيرهم من بني تميم ، فلحقه ضيم ، وأراد الرجوع إلى عشيرته فأبت نفسه ذلك عليه ، ونازعه الشوق اليهم ، فقال يذكر ناسا من بني عمه الأقربين ، يُدعون ببني حَنْبَل[٣] :

إذا اللهُ لم يَسْقِ إلَّا الكرامَ ... فَسَقَّى وجوهَ بني حَنْبَل
فَنِعْمَ بنو العمِّ والأقْرَبُونَ ... لدى حُطْمَةِ الزمنِ المُمْحِلِ
ونعمَ المواسون في النَّائبا ... ت للجار والمُعتَفِي المُرْمِلِ
ونعمَ الحُماةُ الكفاةُ العظيْمَ ... إذا غائظُ الأمرِ لم يُحْلَلِ

وقد عكس الشعر أحيانا شعور الفرد بالندم بعد أن يفارق قومه مغاضباً لهم ، وكيف يؤنب نفسه . ويطامن من غضبها، ويرى أن إباءه الذي كان يشمخ بين جوانح القبيلة لا يكاد ينهض لدى الأقوام الذين يأوي اليهم . وقد انتاب مثلُ هذا الشعور البُرْجَ بن مُسْهِر الطائي ، وكان قد خرج على قومه ، وجاور بني كَلْب زمناً فلم يحمد جوارهم ، فندم وتحسّر على ما كان من تركه لقومه[٤] :

فَنِعْمَ الحيُّ كلبٌ غيرَ أنَّا ... رأينا في جِوارهمُ هَنَاتِ
تركنا قومَنا من حربِ عامٍ ... ألا ياقومِ للأمرِ الشَّتاتِ
وأخرجْنا الأيامى من حصونٍ ... بها دارُ الإقامةِ والثَّباتِ
فإن نرجِعْ إلى الجبلَيْن يوماً ... نُصالحْ قومَنا حتى المماتِ

وربما صادف الفرد في قبيلته أموراً تخالف ما اعتاد عليه من قيم وأخلاق ، وتناقض ما يختزنه في فكره من صورة مثلى لها ، فتأبى عليه نفسه أن يقبل ما ينكره ، ولو كان صادراً عن القوم الذين يمجدّهم ، ويعلي من مكانتهم ، فإذا هو يثور في وجوههم ، ويعلن خروجه على نهجهم وسلوكهم ، على شاكلة لبيد بن ربيعة الذي عبر عن نزعته الذاتية التي ترفض كل ما من أن يشوّه صورة القوم في نفسه ، وذلك في قوله[٥] :

هُمُ قومي وقد أنكرتُ منهم ... شمائلَ بَدَّلوها من شِمالي
يُغارُ على البَرِيِّ بغيرِ ظلمٍ ... ويُفْصَحُ ذو الأمانةِ والدَّلالِ
وأسْرَعَ في الفواحشِ كلُّ طِمْلٍ ... يَجُرُّ المُخْزِيَاتِ ولا يُبالي
أطعتم أمرَهُ فَتَبِعْتُمُوهُ ... ويأتي الغَيُّ مُنْقَطِعَ العِقَالِ

ويرينا الشعر أن ثمة أمراً آخراً قد يحدث للفرد فتثور نفسه سخطاً وغضباً على قومه ، وهو أن تغير قبيلة عليه ، فتغنم منه ما تغنم ، فيطلب العون من قومه ، فيجدهم يتثاقلون عن نصرته ، إما إهمالاً وتحقيراً لشأنه ، وإما ضعفاً وجبناً منهم ، وفي كلتا الحالين فإنهم قد أخلوا بحقوقه ، وقصَّروا عما تتطلبه العصبية من نصرته والاقتصاص من المعتدين عليه .

ومن ذلك ما وقع لقُرَيْط بن أُنَيْف العَنْبَري ، إذ أغار عليه بنو اللَّقِيطة واستاقوا إبلا له ، فاستنجد قومه فلم ينجدوه ، واستنجد أقرباء بعيدين له من بني مازن فأنجدوه ، وأغاروا على بني اللَّقِيطة وأعادوا عليه أكثر من الإبل التي فقدها ، فقال يمدحهم ، ويذم قومه ، ويسخر منهم[1] :

لو كنتُ من مازنٍ لم تَسْتَبِحْ إبِلِي ... بنو اللَّقِيطَةِ من ذُهْلِ بنِ شيبانا
إذاً لَقامَ بنصري معشرٌ خُشُنٌ ... عند الحِفيظةِ إنْ ذو لُوثَةٍ لانَا
قومٌ إذا الشَّرُّ أبدَى ناجِذَيْه لهم ... طاروا إليه زَرَافاتٍ ووحْدانا
لا يسألون أخاهم حين يَنْدُبُهم ... في النّائباتِ على ما قالَ بُرهانا
لكنَّ قومي ، وإنْ كانوا ذوي عددٍ ... ليسوا من الشرّ في شيءٍ ، وإنْ هَانا
يَجزون من ظَلْمِ أهلِ الظلْمِ مغفِرةً ... ومن إساءةِ أهلِ السُّوءِ إحسانا
كأنَّ ربَّكَ لم يَخْلُقْ لِخَشْيتِه ... سواهمُ من جميع الناس إنسانا
فليت لي بهمُ قوماً إذا ركبوا ... شَنُّوا الإغارةَ فرساناً ورُكْبانا

لقد كادت أواصر القبيلة تتقطع في نفس قَرَيْط ، فإن أهم ما يربطه بقومه هو التآزر والتعاضد أمام الأخطار ، وها هوذا يتعرض لها فتتخاذل

القبيلة عن نصرته ، ويُهرع إلى قوم آخرين فينصرونه ويعيدون إليه إبله وماله . فكيف تتحقق المعادلة ؟ وما الموقف الذي تتخذه النفس من قوم أذاقوها مرارة الخذلان ، ومن قوم آخرين أذاقوها حلاوة الانتصار ؟ إنها لن تنسلخ من نسبها ، ولن تتبرأ من قومها ، لكنها تمور بأمنية وتجيش بحلم أن يتبدل قومها غير القوم ، فتنبعث فيهم الشجاعة بدل الجبن ، والكرامةُ بدل الذل ، ويحتذون حذو بني مازن في نجدتهم ومروءتهم .

وعرض الشعر أيضاً لحالات يرى فيها الفرد رأياً ، ويعتقد أن فيه نفعاً للقبيلة ، فينصح لها أن تتبعه ، لكنها تقف ، لأمر ما ، موقفاً رافضاً منه وتنهج نهجا مخالفا ، فإذا النفس تعلو بصوتها في وجه القوم ، تناقش وتجادل مسوغة ما ارتأته ، غير أن صوتها لا يلبث أن يتلاشى بين أصوات الجماعة المعارضة ، فتزجر صاحبها وتحضّه على التمرد ومفارقة القبيلة ، لكنه غالباً ما يأبى عليها ذلك ، ويتركها وهي تنطوي منه على يأس ممض ، ونجد صراعاً مماثلاً نشب في وجدان عامر بن الطفيل فعبّر عنه شعرا[٧] :

ولو أني أُطِعْتُ لكان منّي لِمُدْرِكِ أَكلُبٍ يومٌ طويلُ
ولكنّي عُصِيتُ وكان جهلا بهم ألّا يُبالوا ما أقولُ
يَلوُمونِي الذين تركتُ خلفي ويَعصيني الذين بهم أَصولُ

وعلى نحو مماثل نصح الكَلْحَبَةُ العُرَنيُّ قومه ، لكنهم أبو أن ينصاعوا لرأيه ، فحزّ في نفسه أن يذهب قوله هباء ورأيُه ضياعا[٨] :

أمرتُكُمُ أمري بمُنْعَرَجِ اللّوى ولا أمرَ للمَعْصيِّ إلّا مُضَيَّعا
إذا المرءُ لم يَغْشَ الكَرِيهةَ أوشكتْ حبال الهُوَيْنَي بالفتى أنْ تَقَطَّعَا

ويؤكد لنا الشعر ، في قسم منه ، أن القبيلة ، مهما أظهرت من مخالفة لرأي الفرد وتفكيره ، تبقى مشدودة إليه بأسباب متينة ، ويبقى الفرد

يحاول جاهداً أن يكبح جماح نزعته الشخصية ، مغلباً عليها ما يجده في نفسه من نزوع إلى القوم . وإذا بدر منها ما يسيء إليه عدّه أمراً عارضاً ، ورأى أنها لا تلبث أن تثوب إلى رشدها ، وتكشف ما نزل به من إساءة . وذلك الموقف الذي يقفه منها يكون مدعاة إلى فخره الذاتي ، لأنه استطاع أن يحقق الموازنة بين طموحه إلى التميز والتفرد وبين الخضوع والانقياد للقبيلة ، على الرغم من أنها ، في نظره ، غير بعيدة عن الوقوع في مزالق الخطأ والجهل أحياناً .

نجد هذه الرؤية جلية واضحة لدى عِلْبَاء بن أَرقَم اليَشْكُريّ الذي أصلح ما فسد من أمر قبيلته ، وصفح عن جهلها وضلالها ، وأنار لها طريق الهدى والرشاد ، ولم يبخل على معوزها بالعطاء[٩] :

ولقد رَأَبْتُ ثَأَى العشيرةِ بينَها ... وكفيتُ جانبَها اللُّتَيَّا واللَّتي
وصَفَحتُ عن ذي جهلها ورَفَدْتُهُ ... نُصْحِي ولم تُصِبِ العشيرةَ زَلَّتي
وكفيتُ مولايَ الأَحَمَّ جريرتي ... وحَبَسْتُ سائمتي على ذي الخَلَّةِ

وقلَّما تفاقم الشر بين العربي وقبيلته حتى أدى إلى التقاتل والاحتراب ، ويبدو أن ذلك لا يحدث إلا في حالات نادرة ، كأن يُقتل قريبٌ له ، فيرفض أن يأخذ ديته ، ولأمر ما ترفض القبيلة أن يُقاد من الفاعل ، ويُقتل لقاء ما جنت يداه . حينئذ تثور ثائرة الفرد غالباً ، ويفارق ديار القبيلة ، مضمرا العداوة والبغضاء لها ، لأنه يعدّها شريكة في الجريرة ، ويحاول الانتقام منها ما وجد إلى ذلك سبيلاً . وتمثل هذه الحالة حالة بَلْعاء بن قيس الكنانّي مع قومه ، فقد أبى أن يرضى بالعقل ، ويقبل بالدية ، ويصالح من أراقوا الدماء ، وإنما آلىٰ على نفسه أن ينتقم منهم أشد الانتقام برجال أشداء وفرسان أقوياء[١٠] :

يقولون : خُذْ عَقْلاً وصالحْ عشيرةً ... فما يأمروني بالهموم إذا أُمسي
فأقسمتُ لا أنفكُّ حتى أزورَهُمْ ... بِقُبٍّ كأمثالِ المُجَوَّعَةِ الغُبْسِ

وبذلك كان موقف الشعراء من قبائلهم التي خاصمتهم أو ناصبتهم العداء موقفاً ، فيه إباء شديد للضيم ، ورفض قوي للذل والهوان ، وقد برزوا من خلال أشعارهم أفرادا معتزين بأنفسهم ومفتخرين بكبريائهم . بَيْدَ أن ثمة أمراً جديراً بالاهتمام ، وهو أن الشاعر ، مهما تقلَّبت به أمور القبيلة وأحوالها ، ومهما خالفته في آرائه ، أو تقاعست عن نصرته ، أو ناصبته العداء ، يظل متصلا بأرومتها ، ومعلناً أن آصرته وشيجة فيها ، وأنه فرع من غصنها .

ـ ثانيا ، الخليع :

إذا كنا لا نكاد نجد في الشعر فرداً يعلن أنه تبرأ من نسب قبيلته ، أو أنه خلع انتماءها عنه ، في المقابل ، نجد إشارات كثيرة فيه ، تنطوي على أن القبيلة هي التي كانت تتبرأ من بعض أفرادها ، وتعلن خلعها لهم ، مما يؤدي إلى ضعف رابطتهم العصبية بها ، وظهور ذواتهم ظهوراً مميزاً تجاهها .

وقبل أن نبحث في الأشعار التي عرضت للخليع والخلع لا بد لنا من إيضاح صورتهما في الحياة الجاهلية ، إذ كان شائعا فيها أن تخلع القبائل أفرادها ، وذلك إذا وجدت أنهم غير جديرين بالانتساب إليها ، أو غير مؤهلين لأن تربطهم بعصبيتها . ولا تسلك هذا السلوك إلا إذا اضطرت إليه اضطراراً ، ورأت أنها لم تعد قادرة على تحمل المسؤولية تجاه الفرد الخليع ، وخاصة إذا كانت جرائره كثيرة ، ينوء كاهلها بحمل تبعاتها ، وتخشى أن تخوض بسببها معارك مع قبائل أخرى لا طاقة لها بها .

وكانت صورة الخلع تتم بأن تعلن القبيلة ذلك على رؤوس الأشهاد ، وتنادى بخلعه في المواسم ، لكي يعلم العرب جميعا أنها بريئة من أية جناية يرتكبها ، أو أية جريرة يقوم بها ، وهذا ما كانت تفعله قريش ، إذا كانت تكلف منادياً ينادي بأعلى صوته عن خلع الخليع ، وقد

يكتبون كتاباً يحفظونه عندهم ، أو يعلقونه في مكان عام ليقف عليه الناس . أما ما يقال عند الخلع فقد ورد أنهم كانوا يقولون : «إنا خلعنا فلانا فلا نأخذ أحداً بجناية تجنى عليه ، ولا نُؤاخَذُ بجناياته التي يَجنيها»[١١] .

ومعظم أولئك الخلعاء اتخذوا من الصعلكة نهجا لهم ، فالتقوا بذلك مع أولئك الذين ترفّعت القبائل عن إلحاقهم بنسبها من جراء شائبة تعترى أصولهم ، أو لسواد أتاهم من أمهاتهم اللواتي غالباً ما كنَّ من الإماء الحبشيات ، وقد دُعيَ هؤلاء الذين أتاهم السواد من أمهاتهم بالأغربة[١٢] ، فكانوا جميعاً يتكتلون في جماعات ، ويغيرون على القبائل وقوافلها ، فيغنمون ما يغنمون ثم يعودون لائذين بالجبال والشعاب ، قد جمعتهم وحدة الدفاع عن النفس بعد أن فقدوا وحدة الدم ووحدة الانتماء .

ولاريب في أن الحياة ضمن مجتمع قوامه القبيلة لم تكن تيسِّر للخليع أن يعيش في معزل عن الجماعة التي تقوم مقام القبيلة ، وخاصة إذا علمنا أن ثمة حاجة ملحة تدفع الضعفاء ، في مجتمع كالمجتمع الجاهلي يعتمد على القوة وأسبابها ، إلى التكتل والتجمع ، بغية إشباع غرائز مكبوتة لديهم ، تلتمس السيطرة عن طريق التكثر والتعدد .

وقد يسعى الخليع أحياناً للالتجاء إلى قبيلة أخرى طلباً لحمايتها والعيش في جوارها ، وكان بعض العرب يجير هؤلاء الخلعاء ، ويفخر بإجارته لهم ، لأن ذلك دليل على شرفه ونبله ، فضلاً عن شجاعته وقوته ، لما تتطلبه تلك الإجارة من حصانة وحماية تجاه أقوام ، قد يكونون ذوي قوة وعدد ، يطالبون بالخليع لجرائره فيهم ، وجناياته عليهم . وبلغ ببعض الأشراف الأمرُ أن جعل منزلاً خاصاً ينزل به أولئك الخلعاء فيضحون في جواره وحمايته ، كما كان من شأن الزُّبير بن عبد المطلب الذي كان له بمكة مكان خاص ينزل فيه الخلعاءُ[١٣] .

وقد ظهر من الخلعاء شعراء عبروا عن صدق مشاعرهم وعظيم امتنانهم تجاه من أجاروهم بعد طرد قبائلهم لهم . وكان من أبرز هؤلاء قيس بن الحُداديَّة الذي تبرأ منه قومه بنو خُزاعة وأشهروا خلعه بسوق عكاظ ، فلجأ إلى جوار بني عدي بن عمرو ، فآووه ، وأحسنوا إليه ، فقال يمدحهم ، واصفاً مروءتهم وشجاعتهم . ومقامَهم لديه مقام الأهل والأقرباء[14] :

جزى اللهُ خيراً عن خليعٍ مُطَرَّدٍ ... رجالاً حَمَوْهُ آلَ عَمرِو بنِ خالدِ
فليس كَمَنْ يغزو الصديقَ بنُوكِهِ ... وهمَّتُهُ في الغَزوِ كَسْبُ المَزَاوِدِ
وقد حَدَبَتْ عمرو عليَّ بعزِّها ... وأبنائها من كلِّ أروعَ ماجدِ
مَصاليتُ يومَ الرَّوْعِ كَسْبُهُمُ العُلا ... عِظامُ مقيلِ الهام شُعْرُ السَّواعدِ
أولئك إخواني وجُلّ عشيرتي ... وثَروتُهم والنصرُ غَيْرُ المُحارِدِ

وشبيه بهذا ما كان من شأن شَيْبان بن دِثَار النَّمَرِيّ الذي صوَّر لنا تصويراً بارعاً ما كان من طرد قبيلته له وخلعها إياه ، لجرائره فيها وجناياته عليها ، مما جعله طريداً مشرداً ، تتناوشه الهموم والأحزان ، فيبيت ليلة في أرق وسهد ، حتى إذا ما آواه الزِّبْرِقَان بن بدر ، ونشر عليه جناح الحماية والرعاية ، طابت نفسه ، واطمأن قلبه ، لأنه وجد فيها نعم المجير ونعم المغيث :[15]

فَمَنْ يك سائلاً عنّي فإنّي ... أنا النَّمَريُّ جار الزِّبْرِقَانِ
طريدُ عشيرة وطريد حربٍ ... بما اجترمتْ يدي وجنى لساني
أبيتُ الليل أرقُبُ كلَّ نجمٍ ... حَلَلْتُ على المُمَنّعِ من أَبانِ
إلى بيت الأكارم من مَعَدٍّ ... مَحَلاً بيِّناً لِمَنْ ابتغاني

أمّا إذا استمر الخليع بارتكاب الجنايات ، في جوار القوم الذين التجأ اليهم ، فإنهم عندئذ يخلعونه هم أيضاً ، ويرفعون عنه حمايتهم ، ويعلنون ذلك على الملأ . ومصداق ذلك أن البَرَّاص بن رافع الكِنانيّ كان

قد خلعه قومه ، ونبذوه ، فالتجأ إلى جوار بني سَهْم ، «فعدا على رجل من هُذَيل ، فقتله ، فجاء بنو هُذَيل إلى بني سَهْم يطلبون بدم صاحبهم ، فقال بنو سَهْم : قد خلعناه وتبرأنا من جرائره ، فقالت هُذَيل : من يعرف هذا ، قال العاص بن وائل : أنا خلعته كما يُخلع الكلب ، فسكت الهُذليُّون ، ولم يروا وجه طلب»[١٦] .

وهذا الخبر يدلنا على الحالة السيئة التي يؤول إليها الخليع ، فحين يتبرأ منه قومه يضحي شريدا ، ينتقل في أحياء العرب بغية الحصول على جوار قوم ، فإذا حصل عليه فإن النظرة إليه تظل نظرة ازدراء ، ويظل جواره مرتبطا بأوهى الأسباب التي سرعان ما تنقطع أمام أية تجربة له .

ولئن كنا نرى في الشعر أن الذي ينتمي إلى أصل عربي عريق يناله ماينال من الذل والإهانة والتشرد ، إننا لنرى فيه أيضاً أن الخليع من أغربة العرب كان يحس بوطأة أشد وأقسى ، ويشعر بمرارة الخلع شعوراً متفاقماً .

ولعل السُّلَيْك بن السُّلَكَة قد عبَّر لنا عن تلك الحالة حين صوَّر موقف فتاة كانت قد أعرضت عنه لما رأت من سواد بشرته ، ولما علمت من ضآلة نسبه ، وتخلي قومه عنه ، ورنت ببصرها إلى فتيان يزهون بجمالهم وحسنهم الوضاء ونسبهم العريق ، وتناست ما له من قوة وشجاعة تفوقان ما عند الآخرين[١٧] :

أَلاَ عَتَبَتْ عليَّ فصارمَتْني ... وأعجبها ذُؤُبُ اللِّمَم الطِّوالِ
فإنِّي يابنةَ الأقوامِ أُربِي ... على فعل الوَضِيِّ من الرجالِ
فلا تَصِلِي بصُعْلُوكٍ نَؤُومٍ ... إذا أمسَى يُعَدُّ من العَيالِ
ولكنْ كلُّ صُعْلُوكٍ ضَرُوبٍ ... بنَصْلِ السيفِ هاماتِ الرجالِ

وإزاء الموقف السلبي الذي يقفه القوم والأفراد الآخرون من الخليع

أو الصعلوك ، يحاول في كثير من الأحيان ، أن يستبدل الشجاعة والبأس ، وخوض المهالك ، والتحلي بالمكارم ، بما وصم به من وصمة الخلع والطرد . وربما كان في قول تأبّط شرّاً ما يدل على هذه الرغبة[١٨] :

لكنّما عِوَلي ، إن كنتُ ذا عِوَلٍ على بصير بكَسْب الحَمْدِ سبَّاقِ
سبَّاقِ غاياتِ مَجْدٍ في عشيرتِهِ مُرَجَّعِ الصوتِ هَدّاً بين أَرْفَاقِ
عاري الظَّنَابِيْبِ ، مُمْتَدٍّ نواشِرُهُ مِدْلاج أدهَمَ واهي الماءِ غَسَّاقِ
حمَّال ألويةٍ ، شَهَّادِ أنـديةٍ ، قَوَّالِ مُحْكَمَةٍ ، جَوَّابِ آفاقِ

فهو إذا أراد أن يأسى ، ويحزن ، ويبكي ، فإنما يفعل ذلك لأجل من يتصف بتلك الخلال الحميدة ، ويسعى جاهداً لاكتساب المعالي والأمجاد . وأغلب الظن أن تأبط شراً يرسم بهذه الأبيات لوحة لطموحة هو وشجاعته وسجاياه الفاضلة ، يغيب فيها ما اعتدنا عليه من فخر بالنسب إلى القبيلة ، والاعتداد بالانتماء إليها ، بل انه ليضاهي أقرانه ذوي النسب الصريح ، ويسبقهم إلى ارتياد الأمجاد .

هل نبالغ إذا قلنا بعد ذلك : إنه وجد البديل للقبيلة في هذه الشخصية التي يطمح أن يكونها ؟ وإنه وجد فيها ما يعوضه من حماية القوم ورعايتهم ، حين بث فيها من صفات الشجاعة والبطولة والفتوة ما يجعلها تمنع ذاتها ، وتجعل حياتها ملائمة لحياة الجاهلية بقسوتها وأخطارها ؟ بل إننا لانعدو الحق إذا عمَّمنا حالة تأبط شراً على معظم الشعراء الصعاليك الذين كادت أشعارهم تخلو من الإلحاح على ذكر النسب والفخر به ، كما هو معهود عند سائر الشعراء .

أما موقف الشاعر من قبيلته بعد خلعها له ، فإنه كان موقف الناقم الذي يتحيّن سانحة ينقضّ فيها للثأر منها ، والانتقام لِما لحقه من ضيم وإهانة ، ولعل في أخبار قيس بن الحُدادِيَّة خير دليل على ما ذهبنا اليه ، إذ يروى أنه ما كادت القبيلة تخلعه ، وتتبرأ منه بسوق عكاظ ، حتى شرع في

جميع شذّاذ من العرب ، وفتاك من الذين خلعتهم القبيلة أيضاً ، وأغار عليها بهم ، فقتل منهم من قتل ، وغنم إبلا ومالا[١٩] .

وقلّ أن نجد من الشعراء الخلعاء من يبقى محبّاً لقومه ، ميالاً إليهم ، على الرغم من طردهم له ، كما هو الشأن لدى السُّلَيْك بن السُّلَكَة الذي كان يتجنب الإغارة على قبيلته ، بل إنه كان في بعض الأحيان ، يحذّرها من إغارة الأعداء عليها[٢٠] .

وهكذا نجد أن الشعراء صوروا لنا الإنسان العربي في موقفه من القبيلة حريصاً كل الحرص على الأواصر التي تربطه بها ، حتى إنه لايتبرأ منها ، ولا يخلع نسبها عنه ، وان غبنته في حقوقه ، أو قست عليه ، أو سامته ظلما ، وناصبته عداء ، ولكنهم صوّروه أيضاً أبيّ النفس ، لاينام على ضيم القبيلة ، ولا يسكت عن هوانها ، فسرعان ما ينزح عن ديارها ، وينأى بعيداً عن منازلها ، وقد يبلغ به الأمر أن يتمرد عليها ، وينبذ طاعتها .

بيد أن صورة الانسان في الشعر تبدو مغايرة في حالة خلع القبيلة له من نسبها ، وطردها إياه بعيداً عن حماها ، إذ يظهر ساخطاً عليها حينذاك سخطا كبيراً ، يجعله ، في كثير من الأحيان ، ينقلب عدواً ، يغير عليها ثائراً منتقماً ، لأنها ، بخلعه ، سحبت منه الجنسية القبلية ، وتركته بلا هوية يعرف بها ، وفي هذا مافيه من تأثير في حياته ضمن المجتمع القبلي ، ومن تأثير في نفسه ذات النوازع الفردية المستقلة .

٢ ـ التميّز الفردي :

إذا كان الإنسان العربي قد رفع قبيلته إلى الذروة في البأس والشجاعة والسجايا الحميدة ، وكاد صوته يتلاشى في صوت الجماعة ، فإنه في كثير من الأحيان شمخ بنفسه وتطاول بها حتى جعلها في منزلة تضاهي منزلة القبيلة ، إذ لم يدع صفة من صفات البطولة والفتوة إلاّ

ألصقها بها ، ولا خصلة من خصال النبل والشرف إلاّ جعلها مزّية من مزاياها .

ومن يتصفح الشعر الجاهلي يجده زاخرا بفخر الفرد بنفسه ، وإعلاء مكانتها ، ورفع شأنها غير أن هذا الفخر يتفاوت بين شاعر وشاعر ، فواحد ينخفض صوته حتى لا يكاد يبين ، وآخر يلعلع صوته مدوّيا حتى لا يُسمع أيُّ صوت سوى صوته .

وما يهمنا في هذا المجال هو الإشارة إلى ذلك الفخر الذي ينزع فيه الفرد إلى إبراز الذات وتضخيمها وإعلاء صوتها ، حتى ليطغى أحياناً على صوت الجماعة . ولنا في معلقة طرفة بن العبد خير شاهد على ماينبغي الإلماع اليه ، إذ إنّنا لا نجد فيها إلاّ نشيداً يتغنى بذات صاحبها ، في حزنها على الأطلال الدارسة ، وفي إشادتها بالفتوة والبطولة والخلال الحميدة ، وأخيراً في نظرتها المميزة إلى الحياة والموت .

وذلك كله يُعبَّر عنه بلغة ذاتية لا نرى فيها إلا ضمير المتكلم ، أو ما يعود إليه ، مما يجعل أبيات المعلقة مفعمة بروح طرفة ، والمعاني تدور في فلكه ، فلا نجد صوتاً غير صوته ، ولا رؤية غير رؤيته . فلا علينا بعد ذلك أن نعزو إليه تضخم الذات وطغيانها على كل شيء ما عداها ، ولنأخذ مثالا على ذلك[٢١] :

أنا الرجلُ الضّربُ الذي تعرفونه ... خَشاشٌ كرأس الحَيّةِ المُتوقّدِ
فآليتُ لا ينفكُ كَشحي بِطانَةً ... لِعَضبٍ رقيقِ الشَّفرَتَينِ مُهَنَّدِ
فإنْ مُتُّ فانعيني بما أنا أهلَهُ ... وشقّي عليّ الجَيبَ يابْنَةَ مَعبَدِ
ولا تجعليني كامرىءٍ ليس همتُه ... كهمي ولايُغني غنائي وَمشهَدي
بَطيءٍ عن الجُلى سريعٍ إلى الخَنا ... ذليلٍ بأجماعِ الرِّجال مُلهّدِ
فلو كنتّ وَغْلا في الرجالِ لضّرني ... عداوةُ ذي الأصحابِ والمُتَوَحِّدِ
ولكن نَفَى عني الأعاديَ جُرأتي ... عليهم وإقدامي وصدقي ومَحْتِدي

لعَمـركَ ما أمـري عليَّ بغُمَّـةٍ نهاري ولا ليلي علي بسَرمَدِ

إنَّ القبيلة لا تغيب عن أبصارنا ، إنها موجودة نلمسها بأيدينا ، فهو موجود بين المجموع ، لكن الذي غاب حقّاً هو صوتها ، فقد تلاشى هباء ولم يبق إلا دويّ نفس متوثبة بذكائها وفتوتها . لقد صغرت الجماعة وتضاءلت بعد أن طغت عليها فردية الشاعر التي لم تر في الآخرين إلا شخصها وسجاياها وخلالها ، واختصرت الحياة فلم تعد إلا حياة واحدة تدور رحاها حول محور واحد هو محور الشاعر .

وعلى هذا الغرار من الفخر الذاتي وطغيان الروح الفردية ما نجده في معلقة عنترة بن شداد الذي كان مشغولا بعواطفه تجاه محبوبته ، ومهتما بخوض المعارك والحروب ، فعلا صوت الحب والحماسة في قصيدته على كل صوت ، وكأنه حين شعر بوهن العصبية القبلية التي تشده إلى قومه ، لِما يعترى أصله من ضعف برز في سواده ، حاول أن يسد الفراغ بقوته وشجاعته ، فإذا شعار القبيلة في الحرب وصيحتها قد تحول من المناداة باسمها إلى المناداة باسمه هو[٢٢] :

لمَّا رأيتُ القوْم أقبل جَمعُهم يَتَذَامَرون كَرَرتُ غيْرَ مُـذَمَّمِ
يدعون عنتـرَ والرِّمـاح كأنهـا أشطانُ بئرٍ في لبانِ الَأدهمِ
مـازلتُ أرميهم بغُـرَّةِ وجهـه ولَبـانِهِ حتى تسـربَلَ بـالـدَّمِ
ولقد شفى نفسي وأبرأ سَقْمها قِيلُ الفوارسِ : ويكَ عنترَ أَقْدِمِ

ولئن كان العربي يستظل بحماية القبيلة ، ويلجأ لائذاً بقوتها ، ويفتخر بتلك القُوة ، ويغلوا أحياناً فيجعل منها أشد القبائل بأساً وهيمنة ، لقد كان أيضاً يفخر ببطولته وشجاعته وذوده عن حياض القبيلة وحماها . ولا نغلو إذا قلنا إنه في بعض الأحيان كان يزعم أن قومه يستظلون بحمايته ، ويأوون لائذين بقوته ، ليدفع عنهم بأس الأعداء .

وقد زعم ذلك الزعم قُطبة بن الزِّبَعْرَى ، فهو لم يقتصر على حماية القبيلة فقط ، وإنما ذاد أيضاً عن مواليها ومن لاذ بجوارِها[٢٣] :

حَمَيتُ القوَم قد علمتُ مَعَدٌّ ... ومَنَ للقوم من مولى وجارِ
حَبَوْتُ بها قُضاعَةَ إنّ مثلي ... حَقيقٌ أنْ يَذُبَ عن الذِّمارِ
ولستُ كمن يُغمّزُ جانباه ... كغمز التينِ تجنيه الجواري

وعلى نحو مماثل نجد في الشعر صوت عامر بن الطفيل مدويا ، يفخر بإفراد جناحيه على قبيلته ورعايتها وصونها من اعتداء المعتدين وأذى الطامعين[٢٤] :

إنّي وإنْ كنتُ ابن سيّدِ عامرٍ ... وفارسَها المندوبَ في كلِّ موكبِ
فما سوَّدتّني عامرٌ عن وراثةٍ ... أبى اللهُ أنْ أسمُوْ بأمٍّ ولا أَبِ
ولكنّني أحمي حِماها ، وأتّقي ... أذاها ، وأرمي مَنْ رماها بمَنْكبِ

إذا فليست الوراثة هي التي سوّدته ، وليست مجاملة القبيلة لشرف للآباء والأجداد هي التي جعلته سيداً لها ، وإنما شخصيته المميزة ، وشجاعته الفائقة ، وشمائله الحميدة ، هي التي صيرته قائداً ، يذود عن حمى القبيلة ، ويرمي أعداءها بسهام بأسه وشدته .

ويرينا الشعر أن الفخر بالنفس قد يبلغ ، أحياناً ، أقصى الغايات ، فيجد الشاعر أن ذاته تمور بأماني وأحلام تكاد تتجاوز الواقع محلقة في أجواز الخيال ، بَيْدَ أنها تتمثل في ذهنه بالسمو والرقي وبلوغ الأمجاد ، كما يبدو التعبير عنها جلياً لدى العبَّاس بن مِرداس حين قال[٢٥] :

أنا الرجلُ الذي خُدِّثْتَ عنه ... إذا الخَفِراتِ لم تَسْتُر بُرَاها
أَشدُّ على الكتيبة لا أبالي ... أَفيها كان حتفي أم سواها؟
ولي نفس تتوق إلى المعالي ... سَتُتلفُ أو أُبَلِّغُها مُناها

ألا يحق لنا أن نقول إن الشاعر قرن وجوده بالمعالي والأمجاد ، ورأى أن عليه إدراكها ونيلها ، وإلا فالأحرى به أن يموت ويتلاشى في غياهب العدم .

وعلى ذلك نجد أن شعراء كثيرين أبرزوا ذواتهم متميزة ، ففخروا بسجاياها وخلالها ، واعتدّوا بقوتها وفروسيتها ، كما عبَّر بعضهم في شعره عن منازع شتى انفعلت بها نفسه ، وعن طموحات وأماني رغبت في تحقيقها . وذلك كله يبيّن لنا أن الروح الجماعية لم تكن تمنع النزعة الفردية من أن تظهر بين حين وآخر لدى الإنسان العربي .

٣ ـ الموقف من الأفراد :

إذا كانت نزعة الإنسان الفردية قد أظهرها لنا الشاعر جلية في تمرده على القبيلة ، وفي فخره النفسي ، فإنه يظهرها لنا أيضاً في مواقفه من الأفراد الآخرين وعلاقاته الشخصية بهم ، بعيداً عما تقتضيه العصبية القبلية ، وعما يتطلبه الانتماء إلى القوم . ولعل تلك المواقف والعلاقات وما تثيره من مشاعر شتى وأحاسيس متنوعة في نفس الشاعر قد برزت في الشعر أكثر ما برزت في حبه للمرأة ، وفي نظرته المثالية إلى الصديق ، وفي سخطه الشديد على الخصم .

ـ أولا ـ المرأة المحبوبة :

من يبحث في الشعر الجاهلي يجده زاخراً بالغزل الذي يعبّر عن ميل الشاعر إلى فتاة قد أسرته مفاتنها ، ورهنه جمالها ، وبهرته محاسنها ، فإذا هو حريص على عرض المفاتن والمحاسن والجمال في دقة وتفصيل ، وربما كان حرصه على رسم تلك الأوصاف الحسية يعود إلى رغبته في التدليل على أنها جديرة بأن يقف فنه الشعري عليها ، وأن تأخذ من غزله ونسيبه النصيب الأوفر .

ولا ريب في أن الشاعر الجاهلي لم يكن دائما يتغزل بمحبوبة معينة ، أو ينسب بفتاة معروفة ، يمحضها الودّ والصفاء ، وإنما كان يجري ، أحياناً ، على تقليد فني سار عليه الشعراء من قبله ، ولهذا وجدنا حرارة الحديث في الشعر ترتفع حينا حتى يسعر ضرامه ، وتنخفض في أحايين حتى تذوى وتنطفى وتتلاشى في ألفاظ موشّاة ، عارية من أي إحساس ، وبريئة من أي شعور .

ونحن ، في هذا المجال ، نبحث عن تلك المواقف التي تعكس ذاتية الفرد بكل حرارتها وصدقها تجاه المحبوبة ، لنستطيع من خلالها أن نتبيّن شخصيته المتفردة ، وأن نستطلع نزوعه الذاتي المميز . وسنجد أن ذلك جلّي خاصة في حديث الشاعر عن عواطفه تجاه المرأة مباشرة ، وفي حديثه عن طيفها الذي يلازمه في حلّه وترحاله .

فمن الشعراء الذين بدت عواطفهم تجاه المحبوبة حارة مميزة المرقّش الأكبر حين باح للفن الشعري بما يكنّه قلبه ، وبما تخفيه جوارحه من هيام شديد ، وحبّ جارف ، ينزعان به نحو أسماء التي تيّمته بهواها ، وشغلت نفسه بغرامها[٢٦] :

أغالبُكَ القلبُ اللجوحُ صَبابةً ... وشوقاً إلى أسماءَ أم أنت غالبُهْ
يَهيمُ ولا يَعيا بأسماءَ قلبُهُ ... كذاك الهوى إمرارُهُ وعواقِبُهْ
أيُلْحَى امرؤ في حب أسماءَ قد نأى ... بغَمز من الواشين وازوَرَّ جانِبُهْ
وأسماءُ هَمُّ النفس، إن كنتَ عالماً، ... وبادي أحاديثِ الفؤادِ وغائبُهْ
إذا ذكرتْها النَّفْسُ ظِلْتُ كأنَّني ... يُزَعزُعُني قَفْقَافُ وَرْدٍ وصالِبُهْ

ويكاد الأعشى يقترب من المرقّش في بعض أحاديث الغزل الكثيرة ، وذلك حين يعرض عن الغوص والتدقيق في أوصاف الجسم ، ليعبّر عن منازعه الذاتية ومشاعره الوجدانية ، من ألم العشق ، وأسى الهيام وحرارة القلب وصبابته[٢٧] .

وقد يصور الشاعر ماينتابه من مشاعر عندما تعصف رياح الفرقة بينه وبين محبوبته ، كما هو الشأن لدى قيس بن الحُداديَّة الذي فجأه رحيل محبوبته «نعم» فانبرى يرسم لوحة شعرية ، مضمنا إياها ما شعر به من هموم وأحزان ، وما تعاور قلبه من لوعة وأسى ، وما انتابت عيونه من عبرات حرّى لوشك البين وألم الفراق[٢٨] :

وما خِلْتُ بَينَ الحيِّ حتى رأيتُهمْ ... بِبَيْنُونةِ السُّفلَى وهَبَّتْ سوافِعُ
كأنَّ فؤادي بين شَقَّين من عَصا ... حِذارَ وقوعِ البَيْن والبَيْنُ واقعُ
يَحُثُّ بها حادٍ سريعٍ نَجَاؤه ... وَمُعْرًى عن الساقَيْن والثَّوبُ واسِعُ
قلتُ لها : يانُعْمُ حِلِّي مَحَلَّنا ... فإنَّ الهوى ، يانُعْمُ ، والشَّملُ جامِعُ
فقالتْ ، وعيناها تَفِيضانِ عَبْرَةً : ... بأهلي بَيِّنْ لي متى أنت راجِعُ؟
فقلتُ لها : تاللهِ يَدري مسافرٌ ... إذا أضمرتهُ الأرضُ : ما اللهُ صانعُ؟
فَشَدّت على فيها اللثامَ وأعرضتْ ... وأمعنَ بالكُحّل السّحيقِ المَدامِعُ
وإنّي لعهدِ الوُدِّ راعٍ وإنَّني ... بوصلكِ ، مالم يَطْوِني الموتُ ، طامِعُ

ويبيّن لنا الشاعر في موطن آخر من شعره أن قلب الفرد يظل عالقا بأسباب الهوى ، إذا ماشطّ المزار بالمحبوب ، وشحطت به الديار ، وتظل النفس تنزع نحوه صبابة وتلهفا ، كلما عنَّ ذكره في الخيال[٢٩] .

ولعل ذات الشاعر تضحي أشد بروزاً ، في هذا المجال ، حين ترفض أن تخضع خضوعا تاما للمرأة المحبوبة ، وكذلك حين تطالبها بأن تقف موقفا يحقق رغبات الشاعر من العلاقة القائمة بينهما ، وذلك على غرار ما نجده لدى المُثَقِّب العبديّ في موقفه من صاحبته عندما همّت بالفراق[٣٠] :

أفاطِمُ قبلَ بَينِكِ متِّعيني ... ومنعُكِ ما سألتكِ أن تَبيني
فلا تَعِدي مواعدَ كاذباتٍ ... تمرُّ بها رياحُ الصيفَ دوني
إذاً لَقَطَعتُها ولَقلتُ : بِيني ... كذلك اجتوى مَنْ يَجْتوِيني

ويؤكد لنا عدد من الشعراء أن النزوع الفردي نحو المرأة المحبوبة يظل حاراً قويا ، على الرغم من فراق الشاعر لمحبوبته ، وامتناعه عن مشاهدتها ، ذلك أن علاقته الحميمة بها تجعل المخيلة تورد على الذهن ذكريات الأمس الحافلة باللقاءات ، فإذا طيف الحبيب يحوم مرفرفا في الحُلم ، وإذا الشاعر أحياناً ، لا يكاد يميّز بين الخيال والواقع .

ومصداق ذلك ماصوّره لنا المرّقش الأصغر في شعره من مجيء طيف محبوبته إليه في النوم ، حتى إنه التبس عليه الأمر ، وظنّ الحُلم حقيقةً ، ووصال الخيال واقعاً محسوساً[٣١] :

أَمِنْ بنتِ عَجْلانَ الخيالُ المُطَرَّحُ ... أَلَمَّ ، وَرَحْلِي ساقطٌ مُتَزَحْزِحُ
فلمَّا انتبهتُ بالخيال وراعَني ... إذا هو رَحْلِي والبلادُ تَوَضَّحُ
ولـكنَّـه زَوْرٌ يُـيقِّظُ نـائـمـا ... ويُحدثُ أشجاناً بقلبك تَجْرَحُ
بكـلِّ مِبيت يَعتَـرينـا ومنـزلٍ ... فلو أنَّها إذْ تُدْلِجُ الليلَ تُصبحُ
فولَّت وقد بثَّتْ تباريحَ ماتَرى ... ووجدي بها إذْ تُحْدِرُ الدَّمعَ أَبْرَحُ

لقد نبَّه طيف الحبيب الشاعر فثار به وثار عليه، فقد رغب فيه لأنه خيال المحبوب وصورته ، ورغب عنه لأنه خيال باطل سريع الزوال ، وكم تمنى لو أنه استمر حتى الصباح جسداً يلمسه ويعانقه ، إنه قد أهاج شوقه الساكن ، وأضرم وجده الخامد ، وذكّره بساعة الفراق ، فانبثق الجرح بالدم ثانية .

وشبيه بذلك ما فعله الطيف بطرفة بن العبد حين قطع البيد والمفاوز اليه فهيّج حبه وأشجانه[٣٢] ، وكذلك ما أحدثه خيال سلمى بالمُرقّش الأكبر بين أصحابه الهجود[٣٣] . أما سويد بن أبي كاهل اليشكري فكان إذا اعتاده خيال المحبوب امتنع عليه النوم ، وبقي ليله كله مسهداً أرقاً[٣٤] . وكان الشعراء تجاه طيف الحبيب ما بين راضٍ به سعيد بقدومه ، وبين ساخط عليه ، لأنه زور باطل يبعث الأشجان ، ويسعر نيران الحب الخامدة[٣٥] .

فموقف زهير بن جَناب الكلبي من الطيف كان موقف الراضي به ، فقد تلقاه متلهّفا مرحّبا ، لأنه حظي بلقاء من غير موعد ، على بعد الديار وشحط المزار . وعلى الرغم من أنه كان متعجبا من قطعه المفاوز والفلوات فإنه أسرع إلى اغتنام زمن اللقاء والعيش لحظة الاتصال ، فإذا الحلم يختلط بالواقع ، وإذا الخيال يصبح شخص المحبوب مجسداً ، فيبتسم له ويرد على تحيته ، ويكاد الشاعر يغيب في نشوة الوصال الحقيقي ، لولا أنّ المحبوب قد ابتعد سريعا ، وقطع الحلم ، وترك أمنية الوصال عالقة بنفس الشاعر[٣٦] :

أَمِنْ آلِ سَلْمَى ذا الخيالُ المُورِّقُ ... وقد يَمِقُ الطيفَ الغريبُ المشوَّقُ
وأنّى اهتدتْ سَلْمَى لوجهِ محلِّنا ... وما دونها من مَهْمَهِ الأرضِ يَخْفِقُ
فلم ترَ إلّا هاجعا عند حَرَّةٍ ... على ظهرها كُورٌ عتيقٌ ونُمْرَقُ[٣٧]
فلما رأتني والطّليحَ تبسَّمَتْ ... كما انهلّ أعلى عارضٍ يتألّقُ
فَحُيِّيتِ عنّا زودينا تحيَّة ... لعلَّ بها العاني من الكَبْلِ يُطْلَقُ
فردَّتْ سلاما ثم ولَّتْ بحاجةٍ ... ونحن لَعَمْري يابنةَ الخير أشوقُ
فياطِيبَ ماريًّا وياحُسْنَ منطرٍ ... لهوتُ به لو أنَّ رؤياكِ تَصْدُقُ

وقد عبّر مالك بن حرِيم الهمدانّي في شعره أيضا عن الرضا بخيال المحبوب ، وعن أمنيته في أن يكون حقيقة ينعم بوصاله[٣٨] .

وبذلك نجد أن الشعراء عبروا لنا عن موقف الإنسان الذاتي من المرأة المحبوبة ، فصوروا لنا مايجيش في النفس من مشاعر الحب والهيام ، وما يعتريها من ألم البعد وحسرة الفراق ، مبينين أن طيف المحبوبة يبقى ملازما الذهن ، ومستحوذاً على الخيال ، بسبب تلك العاطفة القوية التي تشدهما إليها .

ـ ثانيا ، الصديق :

إنّ أبرز مظاهر النزوع الفردي ، كما نتبيّنه من الشعر ، هو موقف الإنسان العربي من الصديق ، سواء أكان من القبيلة أم من غيرها . ويبدو ذلك النزوع واضحا لدى الشاعر حينما نراه يرسم صورة مثلى للإنسان الذي يتخذه صديقا ، فإذا هو الإخلاص عينه والوفاء ذاته ، يعادي من يعاديه ، ويسالم من يسالمه ، وإذا ألمَّ به سوء ، أو حاق به مكروه ، حنا عليه مواسيا ، وماسحا الدموع ، ومانحا الأمل الوضاء . ولعل لنا في قول ربيعة بن مقروم الضَّبّي أفضل تعبير عن تلك الصورة[٣٩] :

أخوك أخوك مَنْ يدنو فتدنو ... مودَّتُهُ وإنْ دُعي استجابا
إذا حاربتَ حاربَ مَنْ تُعادي ... وزادَ سلاحُهُ منك اقترابا
يُواسي في الكريهة كلَّ يومٍ ... اذا ما مضْلِعُ الحَدَثَانِ نابا

ويرى بعض الشعراء أن سعي الصديق لعون صاحبه لا يقتصر على الخطوب والملمات ، وإنما يكون سعيه أيضاً في السلم والرخاء ، وهذا ما كان من رؤية امرىء القيس الذي وجد في صديقه الخليل والرفيق ، والسامرَ والنديَم ، والساقيَ والمفاكهَ ، كما وجد فيه خلالا نبيلة ، وشمائل فاضلة ، تجعله كريم العطاء ، برّاً بالأصدقاء ، وفيّا لهم وفاء ما بعده وفاء[٤٠] :

لَعَمْرُكَ ماسَعْدُ بخُلَّةِ آثِم ... ولا نَأنَا يومَ الحِفاظِ ولا حَصِر
يفاكُهنا سَعدٌ ويغدو لجمعنا ... بمَثْنى الزِّقاقِ المُتْرعاتِ وبالجُزُرْ
لَعَمْري لَسَعْدُ حيث حَلَّتْ ديارُهُ ... أَحبُّ إلينا منك مافَرَسٍ حَمِرْ
وتعرفُ فيه من أبيه شمائلا ... ومن خالِهِ ومن يزيدَ ومن حُجُرْ
سماحة ذا وبرَّ ذا ووفاءَ ذا ... ونائل ذا ، إذا صحا وإذا سَكِرْ

ويبدو أن النزعة الفردية نحو الصديق لدى الشاعر تغدو أكثر وضوحا وجلاء حينما تتخطّفه المنيّة ، وتنتشله من بين إخوانه ، وتترك صاحبه ملتاع

الفؤاد ، محزون النفس ، باكي العين على نحو مانجده لدى أبي خِراش الهُذَليّ الذي فقد خليله ، فهلع قلبه حزنا وألما ، وتفجرت العبرات من عينيه لوعة وأسى ، فلمَّا شحّت ونضبت ردفتها الدماء بكاء ونشيجا ، ونهشت الهموم والأحزان الجسم فصيرّته هزيلا ضئيلا ، وانحنت على العظم فرقّ ووهن ، وقد زاد في الحسرة عليه واللوعة له أنه مات في شرخ الصبا وعنفوان الشباب ، فانقطعت العلاقة به مبكرة ، وغابت صحبته في زهوها وغضارتها[41] :

أَرِقْتُ لهمٍّ ضافني بعد هَجْعَةٍ ... على خالدٍ فالعينُ دائمةُ السَّجْمِ
إذا ذَكَرَتْه العينُ أغرقَها البُكا ... وتَشْرَقُ من تَهْمَالها العينُ بالدَّمِ
فباتتْ تَراعي النَّجْمَ عينٌ مريضةٌ ... لِما غالَها واعتادَها الحُزْنُ بالسَّقْمِ
وما بعد أَنْ قد هدَّني الدَّهرُ هدةً ... تَضَالَ لها جسمي ورقَّ لها عَظْمي
أتتْهُ المنايا وَهْوَ غَضٌّ شبابُه ... وما للمنايا عن حِمَى النفسِ من عَزمِ

وذهب بعض الشعراء إلى أن الأصدقاء لاتصفو من تهم دائما ، فقد تبدّلهم الأيام وتغيّر من سجايهم وخلالهم ، فيُظهرون خلاف مايبدون ، مما يجعل الإنسان يقف منهم موقف المتردد الشاك ، متسائلا : أهم أحباب خلان أم إنهم قد ارتدوا ثوب الرياء والنفاق ؟ وذلك كله يَظهر لدى الشاعر نزعةً ذاتية خالصة ، تنبعث من نفس حائرة تهفو إلى معرفة حقيقة الصديق معرفة تامة .

وآية ذلك ما نجده لدى سُوَيْد بن صامت الذي تكونت لديه رؤية خاصة من تجربته مع الأصدقاء ، عبّر عنها في قوله[42] :

أَلا رُبَّ مَنّ تدعو صديقا ، ولو تَرى ... مقالَتَه في الغيبِ ساءكَ ما يفري
مقالتُهُ كالشَّهدِ ما كان شاهداً ... وبالغيبِ مأثُورٌ على ثُغْرَةِ النَّحْرِ
يَسُرُّكَ باديهِ وتحت أديمهِ ... نَمِيمَةُ غِشٍ تبترِي عَقَبَ الظَّهْرِ
تُبينُ لك العينانِ ما هو كاتِمٌ ... من الغِلِّ والبغضاءِ بالنَّظَرِ الشَّزْرَ

وكان المُثَقِّب العبدي قد رفض الغوص في متاه الحيرة ، وأبى الترجّح بين الشك واليقين تجاه الصداقة ، ولم يقبل حداً وسطاً فيها ، فإمّا صداقة خالصة بريئة من الرياء والنفاق ، وإمّا عداوة جلية تدفعه إلى الحذر ، اتقاء للشر ودفعاً للأذى[٤٣] :

فإمَّا أنْ تكونَ أخي بحقٍ فأعرفَ منك غَثِّي من سَمِيني
وإلا فاطَّرِحْني واتَّخِذْني عدوّاً اتَّقيكَ وتتَّقِيني

وقد يقف الشاعر موقفاً أقل حدة من الموقف السابق ، فيرى أن الخلق الكريم والسجايا الفاضلة تحتم على المرء أن يظل محافظاً على ود الصديق ، مهما تغيرت به الأحوال ، لأن المعوَّل عليه هو لا الصاحب في الإبقاء على الصداقة خالصة نقية ، على نحو ما عبر عنه حاتم الطائي حين قال[٤٤] :

اللهُ يعلُم أنِّي ذو محافظةٍ ما لم يَخُنِّي خليلي يبتغي بدلا
فإنْ تَبَدَّلَ ألفاني أخائِقَةٍ عَفَّ الخليقةِ لانِكْسا ولا وكِلا

ولعل أغلب الشعراء في حديثهم عن الصداقة والصديق لم يكونوا يبتعدون عن المواقف السابقة ، فكان أبو دواد الإيادي يرى رأي حاتم الطائي في الصداقة ، فهو يحافظ عليها في أحواله كلها ، حتى إنه يؤثر صديقه بالماء في حالة الظمأ ، ويغدق عليه بالأموال ، ويرفعه إلى المكانة العليا في حالتي الأمن والسلم[٤٥] . بيد أن سلامة بن جندل كان يقترب من موقف المُثَقِّب تجاه الصديق ، فهو ، على الرغم من تحمله لصديقه ، ومايبدر عنه من حقد وعداوة ، لا يرضى لنفسه أن يخدع الصاحب أو أن يخادعه ، فيبادر إلى المجاهرة ومباداة الشر بمثله[٤٦] .

وفضلاً عما مر بنا فقد حفلت داووين الشعر الجاهلي بمديح الشعراء الذي يعبر عن موقف الشاعر من الممدوحين : إمّا إعجاباً ذاتياً بهم ، وإمّا

تسجيلاً لمآثر قاموا بها ، وإمّا رهبة وخوفاً من بطشهم ، وإمّا رغبة في نوالهم وعطاياهم . ولنا في دواوين النابغة وزهير والأعشى خير مثال على ذلك . بيد أننا اهتممنا ، في هذا المجال ، بالمواقف التي تبرز فيها ذات الفرد بروزاً مميزاً ، نلمح فيها شخصيته المتفردة بسماتها الواضحة وخصائصها البيّنة ، بعيداً عن أية مؤثرات أخرى ، كأن يمدح الشاعر عرفانا لجميل أسداه الممدوح للقبيلة ، أو رغبة في المكافأة والعطاء ، أو توقياً لشر متوقع منه ، وفي معظم تلك الأحوال يكون موقف الفرد غالباً موقفاً آنياً أو محدداً بوقت معين ، بخلاف الموقف من الصديق الذي يمتد إلى زمن طويل ، قد يشمل العمر كله .

ـ ثالثا ، الخصم :

إذا كان موقف الشعراء من الأصداء يُعَدُّ مجلىً للنفس ونزوعها الذاتي لديهم ، فإن موقفهم من الخصوم يعدُّ مظهراً آخر لذلك النزوع ، يمثّله ماياندفعون إليه من هجاء لأولئك الخصوم ، سواء أكانوا من القبيلة أم من غيرها ، وسواء أكان ثمة عداء وحروب بينهم وبين خصومهم أم لم يكن ، لأن الشاعر غالباً ما يعبر ، في هذا المضمار ، عن شعور شخصي وإحساس فردي تجاه الخصم .

ولاريب في أن الشعر هو السلاح النافذ الذي ما إن يطلق حتى تسعى به الركبان ، ويتجاوب صداه في أحياء العرب ومجالسهم وأسواقهم ، ولهذا كان وقع الهجاء في نفس الخصم شديداً ، ووخزه لها أليماً . فإذا ما وقعت الواقعة ، ولحقت بالشاعر إساءة شديدة من امرىء ما ، فإنه يتميز غيظاً ، ويفور حنقاً ، ويصرخ في نفسه الغضب ، فإذا هو قد أخذ للأمر عدته ، وتهيأ للتعبير عما يجيش في داخله بألفاظ وتعابير لا تقل شأناً عن اللعنات التي تحيق بالمرء ، فتصيبه بضروب من الأذى والشرور .

فمن ذلك ما كان من أمر الأعشى مع عُمَيْر بن عبد الله الذي ناصبه عداء ، وراش له سهاماً من الأكاذيب والافتراءات رماه بها ، فثار سخط الشاعر وانبرى يرد الكيد بكيد مثله ، مصوّرا ما كان منه من عداء لاسبب له إلاّ الحقد والضغينة ، مما أثر في نفسه ، وجعله يقسم أغلظ الأيمان ليصِمَنَّه بهجاء ينال منه نيلاً ما بعده نيل ، ويجعله يندم ندما شديداً على ما فرّط في جنب الشاعر[٤٧] :

أراني بريئاً من عُمَيْر وَرَهْطِهِ ... إذا أنت لم تَبْرَأْ من الشَّرِّ فاسْقَمِ
إذا مـارآني مقبلاً شـامَ نَبْلَهُ ... ويرمي ، إذا أدبرتُ ظهري ،بأسهُمِ
على غير ذنب غيرَ أنَّ عداوةً ... طَمَتْ بكَ فاستأْخِرْ لها أو تقدَّمِ
وكنتُ إذا نفسُ الغَوِيِّ نوت به ... صَقَعْتُ على العرنينِ منه بِمِيسَمِ
حلفتُ بربِّ الرَّاقصاتِ إلى مِنًى ... إذا مَخْرَمٌ جاوَزْنَه بعد مَخْرَمِ
لئنْ كنتَ في جُبٍّ ثمانين قامةً ... ورُقِّيتَ أسبابَ السماءِ بسُلَّمِ
ليَسْتَدْرِجَنْك القولُ حتى تَهِرَّهُ ... وتعلمَ أنِّي عنك لستُ بمُلجَمِ
وتَشْرَقَ بالقولِ الذي قد أذَعتَهُ ... كما شَرِقَتْ صَدْرُ القناةِ من الدّمِ

وشبيه بهذا ما فعله ربيعة بن مَقْروم بخصمه ، الذي كان يغلي صدره بمراجل العداوة والبغضاء له ، فصده عنه ، ووسمه بسمة من الذل ، ظلت لاصقة بجبينه، تدل عليه أبدا[٤٨] :

وألـدَّ ذي حَنَقٍ عليَّ كأنمـا ... تَغْلي عَداوةُ صدرِه في مِرْجَلِ
أرْجَيْتُـهُ عنّي فـأبصـرَ قَصْـدَهُ ... وكَوَيْتُهُ فوقَ النواظرِ من عَلِ

فلا غرابة بعد ذلك أن بعدَّ العربي الهجاء وصمة تلحق العار بمن تُلصق به ، بل هو دنس ورجس يلطّخان سمعة المهجو ، فلا يستطيع إزالتهما وتطهيرهما ، مهما حاول ذلك . ويبدو أن هذا ما اعتقده زهير بن أبي سلمى في هجائه للحارث بن وَرْقاء الأسدي الذي أغار عليه ، واستاق

غلاماً له وإبلاً ، مما أثر في نفس الشاعر تأثيراً كبيراً ، دفعه إلى إشهار سلاحه الشعري متهدداً متوعداً(٤٩) :

يا حارِ لا أُرْمَيَنْ مِنكم بداهيةٍ ... لم يَلْقَها سُوقَةٌ قبلي ولامَلِكُ
فارْدُدْ يساراً ولا تَعنف عليه ولا ... تَمْعَكْ بعِرضكَ إنَّ الغادرَ المَعِكُ
تَعَلَّمَنْ ها ، لعمرُ اللهِ ، ذا قسماً ... فاقْصِدْ بذَرْعِكَ وانظرْ : أينَ تنسلِكُ
لئن حَلَلْتَ بجَوٍّ من بني أسدٍ ... في دينِ عمرو وحالت بيننا فَدَكُ
ليأتينَّكَ منِّي مَنْطِقٌ قَذَعٌ ... باقٍ كما دنَّسَ القُبْطِيَّةَ الوَدَكُ

إذاً فإنه التهديد والوعيد والنذير بالشر النازل ، يُجلّى في موقف الشاعر الذاتي من الحارث ورهطه ، وذلك في حالة الاصرار على العداوة وإبقاء الغلام يَسار في الأسر ، فلن يسلم العرض من الأذى ، ولن يسلم الشرف من الغمز به ، يؤكد ذلك يمينٌ مغلظة بالله إنه لن يفلت من أن تصيبه قارعة من الشاعر ، وأن تناله سهام الهجاء ، فتلطخه دنساً ورجساً ، ولن ينجيه منها اختفاؤه بَفدَك ، ولا احتماؤه بالملك عمرو بن هند .

فالشاعر غالباً لا يسكت على خصم ، وإنما يقف منه موقف النِدّ للندّ ، فيساجله الخصومة بخصومة مماثلة ، والعداوة بعداوة شبيهة ، ووسيلته المجدية إلى ذلك فنّ القول الذي يتخذه سلاحاً فتاكاً ، لِما للشعر من أهمية في حياة الجاهليين ، ولما له من أثر في نفوسهم ، جعلت بعضهم يبكي ألماً من وقع الهجاء عليه(٥٠) . وذلك كله يدل على إحساس مفرط لدى الإنسان العربي جعله يتأثر بكل ما ينال سمعته وشرفه وعرضه من إهانة ، وليس أسوأ من كلمات فيها من المثالب ما فيها ، تتناقلها الألسن على شفاه لا همَّ لها إلاَّ شدو الأشعار .

ولا شك في أن دواوين الشعر الجاهلي تنطوي على كثير من النصوص الشعرية التي تشابه النصوص السابقة ، وكلها تعكس مواقف

الشعراء الذاتية من خصومهم ، وانفعالهم بما يرميهم به أولئك الخصوم من نبل الحقد والعداوة ، ومن ثَمَّ تعبيرهم عن ذلك الانفعال بفنهم الشعري الذي يتخذ أداة فعالة لدرء مبغضيهم والحاقدين عليهم . وقد رأينا آنفاً أنهم عبّروا به أيضاً عن ميولهم الشخصية وعواطفهم الذاتية تجاه محبوباتهم حينا ، وتجاه أصدقائهم حينا آخر .

وهكذا أظهر لنا الشعر الإنسان العربي ذا شخصية مميزة في علاقاته الاجتماعية ؛ فصوَّره خارجاً على القبيلة ومتمرداً عليها حيناً ، ومفتخراً بذاته ومُعلياً من شأنها حيناً آخر ، كما أبرز نزوعه الذاتي حين بيّن مدى حبه وهيامه بالمرأة ، ومدى تعلقه بالصديق الوفي ، ونفوره الشديد من الخصم المبغض .

الحواشي والمصادر والمراجع

(١) ضرورة الفن : ص ٥٧ ، لانست فيشر ، ط بيروت .

(٢) ديوان عمر بن قميئة : ص ١٩ ـ ٢٠ ، تح د. حسن كامل الصيرفي ، ط القاهرة ١٩٦٥ .

(٣) الأغاني : ٢٢/٢٧٠ ، لأبي الفرج الاصبهاني ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ .

(٤) الحماسة : ١/٣٥٩ـ٣٦٢ ، لأبي تمام ، شرح المرزوقي ، تح أمين وهارون ، ط القاهرة ١٩٥١ .

(٥) ديوان لبيد بن ربيعة : ص ٩٤ ، تح إحسان عباس ، ط الكويت ١٩٦٢ .

(٦) الحماسة : ١/٥ ـ ١١ ، شرح التبريزي ، ط بولاق ١٢٩٦هـ .

(٧) ديوان عامر بن الطفيل : ص ٩٩ ، رواية ابن الأنباري ، ط بيروت ١٩٦٣ .

(٨) المفضّليّات : ص ٢٣ ، للمفضل الضّبيّ ، شرح الأنباري ، ط بيروت ١٩٢٠ .

(٩) الأصمعيات : ص ١٦٢ ، للأصمعي ، تح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، ط دار المعارف بمصر ١٩٦٧ .

(١٠) حماسة البحتري : ص ٩ ، تح كمال مصطفى ، مصر ١٩٢٩ .

(١١) لسان العرب وتاج العروس : مادة (خلع) .

(١٢) القاموس المحيط : مادة (غرب) .

(١٣) الشعر والشعراء : ١/٣٨٨ ، لابن قتيبة ، تح أحمد محمد شاكر ، ط القاهرة ١٩٦٦ .

ى١٤) الأغاني : ١٤/١٥٣ ، ط المؤسسة المصرية العامة .

(١٥) النقائض : ٢/٧١٤ ، لأبي عبيدة ، مصور عن طبيعة ليدن ، ط بيروت .

(١٦) المحبّر : ص ١٩٥ ، لابن حبيب ، تح إيلزة ليختن شتيتر ، ط الهند ١٩٤٢ .

(١٧) الكامل : ٢/٤٦٠ ، للمبرد تح زكي مبارك ، ط القاهرة ١٩٣٦ .

(١٨) المفضليات : ص ١٣ ـ ١٥ .

(١٩) الأغاني : ١٤/١٤٥ .

(٢٠) خزانة الأدب : ٣/٣٤٦ ، للبغدادي ، تح عبد السلام هارون ، ط القاهرة ١٩٦٧ .

(٢١) شرح القصائد العشر : ص ١٤٨ ـ ١٥٦ ، للتبريزي ، تح د. فخري الدين قباوة ، ط حلب ١٩٧٣ .

(٢٢) المصدر نفسه : ص ٣٠٩ ـ ٣١٣ .

(٢٣) من نُسب إلى أمه من الشعراء (نوادر المخطوطات) : ١/٨٦ ، لابن حبيب ، تح عبد السلام هارون ، ط القاهرة ١٩٧٢ .

(٢٤) ديوان عامر بن الطفيل : ص ١٣ .

(٢٥) الحماسة الشجريّة : تح الملوحي والحمصي ، ط دمشق ١٩٧٠ .

(٢٦) الاغاني ، ١٣٤/٦ ، ط دار الكتب المصرية ، ١٩٣٠ .
(٢٧) ديوان الأعشى الكبر : ص ١٢٩ ، تح محمد محمد حسين ، ط القاهرة ١٩٦٠ .
(٢٨) الأغاني : ١٥٨/١٤ .
(٢٩) الاختياران : ص ٢٢٢ ، للأخفش الأصغر ، تح د. فخر الدين قباوة ، ط مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٤ .
(٣٠) ديوان المثقّب العبدي : ص ١٣٦ ـ ١٤١ ، تح د. حسن كامل الصيرفي ط القاهرة ١٩٧١ .
(٣١) المفضليات : ص ٤٩٤ .
(٣٢) ديوان طرفة بن العبد : ص ٦٨ ـ ٦٩ ، تح علي الجندي ، ط القاهرة ١٩٥٨ .
(٣٣) المفضليات : ص ٤٦٠ .
(٣٤) المصدر نفسه : ص ٣٨٤ .
(٣٥) طيف الخيال : ص ٥ ـ ٦ ، للشريف المرتضى ، تح د. حسن كامل الصيرفي ، ط القاهرة ١٩٦٢ .
(٣٦) الأغاني : ٢٥/١٩ ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ .
(٣٧) الحرّة : أراد بها هنا الناقة .
(٣٨) الأصمعيات : ص ٦٣ .
(٣٩) الحماسة : ٥٤٣/٢ ، شرح المرزوقي .
(٤٠) ديوان امرىء القيس : ص ١١٢ ـ ١١٣ ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار المعارف بمصر ١٩٦٤ .
(٤١) شرح أشعار الهذليين : ١٢٢٣/٣ ، تح عبد الستار أحمد فراج ، ط القاهرة .
(٤٢) السيرة النبوية : ٤٢٦/١ ، لابن هشام ، تح السقا والأبياري وشلبي ، ط مصر ١٩٥٥ .
(٤٣) ديوان المثقّب العبدي : ص ٢١١ .
(٤٤) ديوان حاتم الطائي : ص ٧٤ ، ط بيروت ١٩٦٣ .
(٤٥) الحماسة البصرية : ٤٣/٢ ، لصدر الدين البصري ، تح مختار الدين أحمد ، ط الهند ١٩٦٤ .
(٤٦) ديوان سلامة بن جندل : ص ١٩٧ ـ ١٩٩ ، تح د. فخر الدين قباوة ، ط حلب ١٩٦٨ .
(٤٧) ديوان الأعشى الكبير : ص ١٢٣ .
(٤٨) الحماسة : ٦٤/١ ـ ٦٥ ، شرح المرزوقي .
(٤٩) ديوان زهير بن أبي سلمى : ص ١٨٠ ـ ١٨٣ ، شرح ثعلب ، ط القاهرة ١٩٦٤ .
(٥٠) الحيوان : ٣٦٤/١ ، للجاحظ ، تح عبد السلام هارون ، ط مصر ١٩٦٥ .